اؤمن بالقيامة

تأليف: الأب جين ڤيرنيت اليسوعي

ترجمه عن الايطالية:

الخوراسقف فيليكس الشابي

عيد الفصح - نيسان 2015

أريزونا

اؤمن بالقيامة

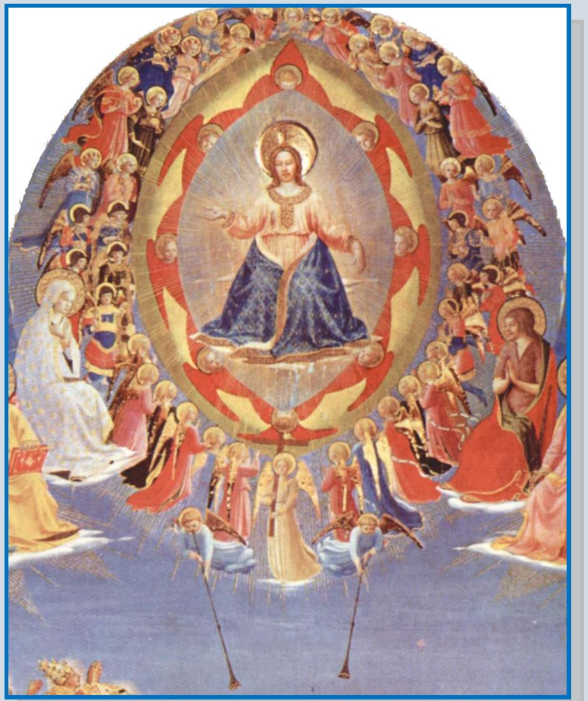

تأليف: الأب جين ڤيرنيت اليسوعي
ترجمه عن الايطالية:
الخوراسقف فيليكس الشابي
عيد الفصح - نيسان 2015
أريزونا

اؤمن بالقيامة

تأليف: الأب جين ڤيرنيت اليسوعي

ترجمه عن الايطالية:

الخوراسقف فيليكس الشابي

عيد الفصح - نيسان 2015

أريزونا

إهداء

الى كل مسيحي يسعى لأن يرث ألحياة الأبدية

★ ★ ★ ★ ★

شكر خاص

الى كل من ساهم في

طبع وتنقيح وتنفيذ

مشروع هذا الكتيّب

بارك الله بيوتهم وعوائلهم

مقدمة: تناسخ أرواح أم قيامة؟

"ونؤمن.. بقيامة الاموات": جملة يقولها المسيحيون كل مرة يشتركون في القداس الالهي، عندما يرددون "قانون الايمان". فهل هذا ضروري ومهم؟ يجيبنا على هذا السؤال مار بولس اذ يكتب لمؤمني قورنتس:

> "فاذا كان الاموات لا يقومون، فالمسيح لم يقم ايضاً. واذا لم يكن المسيح قد قام، فإيمانكم باطل ولا تزالون بعد بخطايكم، وإذاً فالذين ماتو في المسيح قد هلكوا" (1 قورنثية 15: 16-18).

بالحقيقة هنالك مفهومان كبيران ومختلفان كثيراً فيما بينهما لادراك سر الانسان والكون، ولكنهما مشتركان بإيمانهما بوجود حياة ما بعد الموت:

- الاعتقاد الاول منتشر وبصورة واسعة في العالم الاسيوي. بحيث أن البقاء من بعد الموت هو عبارة عن عودة -الروح- في الخلائق بحسب ناموس التقمص او إعادة التجسد.
- الاعتقاد الاخر، يقول بأن الحياة الارضية تتسامى في الحياة الخالدة، حياة ما وراء الحدود، متخذة شكلا جديداً بالكامل، ولكن بنفس الاستمرارية والتكامل الشخصي. هذا الانتقال من الحياة الاولى الى الآخرة يكتمل عن طريق "قيامة" الكائن بتمامه وكماله.

المفهوم الاول تؤمن به الاديان الشرقية، الهندوسية والبوذية. اما المفهوم الثاني فهو يعبر عن إيماننا المسيحي. والمسيحية هي تطوير للديانة اليهودية، ولهذا السبب، فان الإيمان بالقيامة يمكن فهمه، فقط عندما نقرأه كاستمرارية للتفكير العبراني.
في هذه الصفحات القليلة:

- سلنلجأ اولاً الى تاريخ تكوين الفكر العبراني – المسيحي بخصوص موضوع ألحياة الاخرى، للتعرف على السياق الثقافي الذي وجدت فيه فكرة "قيامة الاموات". وهكذا سنراجع بدايات تاريخ شعب اسرائيل في الكتاب المقدس.

- بعدها سنستمع الى القصص، التي كتبت في بيئة مثالية، للذين صاروا شهوداً لرؤية "الحالة الجديدة" ليسوع الناصري بعد الموت، ذاك الموت الذي ذُكر بكل وضوح من قبل الشهادات المعاصرة في زمانه. إنه قام! هذا ما يقوله الشهود كلهم بالإجماع: (فان الايمان بالقيامة يعتمد على شهادة اولئك الذين إلتقوا بيسوع حديثاً، ومباشرة بعد موته).

إن اغلب هذه الروايات تم تناقلها بواسطة الكتابات التي وصلتنا من الجماعات الاولى. فهذِهِ الجماعات كانت على إتصال مباشر مع الشهود الذين عايشوا الاحداث. وبعضهم عاش ضمن هذِهِ الجماعات... سندرس اذاً قصص ظهورات المخلص "القائم" للرسل، وبهذه الطريقة سيكون في متناولنا جميع عناصر القضية.

- كما وسنتقدم في تأملنا، باحثين عن الخطوط العريضة لمفهوم "حياة ما بعد الموت" بحسب المسيحية: بمفهوم مُتأسس على الكتاب المقدس، وعلى تأملات المؤمنين عبر العصور والتي وصلتنا عبر التقليد الكنسي العريق. فالمسيحيون يعرفون معنى مصطلح: "كلمة اللـه"، ووحيها وكشفها للبشر، والتي بلغت ذروتها بشخص يسوع "الكلمة"، اي "كلمة اللـه"، اذ عبّر يسوع عن اللـه بصورة مرئية وكاملة، لانه هو نفسه اللـه.
- وسنختتم تحليلنا المنطقي بدقة بإبداء هذه الملاحظة: بأنه علينا منذ اليوم ان نهتم ببناء الغد.

1- الحياة الابدية عند اليهود

ان الاعتقاد بالقيامة يبدأ بالظهور متأخراً نوعاً ما في تفكير الكتاب المقدس. حيث بقيت فكرة القيامة في الظل بسبب فكرة "المسيح المنتظر" الذي كان عليه المجيء لتحرير شعب اسرائيل من مضطهديه ومحتليه الأجانب الرومان. وسننتظر حتى القرن الثاني قبل الميلاد لنرى فكرة "القيامة" تصاغ بشكل واضح.

إن هذا الاعتقاد متواجد بصورة مستمرة في خط تطور الفكر السامي على طول ١٨ قرنا من التأمل الديني، بِدءاً من الظهور الاول للـه لإبراهيم. فإنه يظهر في نهاية تأمل روحي وأدبي بخصوص النهاية والثواب والعقاب: "متى وكيف سيكافأ الاخيار على أعمالهم الصالحة، والأشرار يؤَدَبون على أعمالهم ألمُشينة؟".

- التداخل ما بين الحياة والموت:-

بأي طريقة اذاً "يَشرح" الكتاب المقدس الموت؟ هل بالنظر الى خطيئة الانسان؟ فاللـه هو بالحقيقة رب الحياة، وقد أعطاها هدية للإنسان منذ البداية. الا أن الإنسان بتمرده على اللـه، فصل نفسه عن المصدر، وبالتالي عن الحياة. فالرواية التي نقرأ في بداية سفر التكوين تَشرح بصورة شعرية بأن الموت قد دخل الحياة كنتيجة لخطيئة الإنسان: عندما أصغى الى مشورة ألحية التي جرّبته. فإبتعد عندئذ عن الخالق. وهذا ما نسيمه "الخطيئة الاصلية".

ومنذ ذلك الوقت قُدّر على الانسان أن يموت، وأن يُقطع عن كافة بَني جنسه، بعدما كان قد وُعِدَ بالحياة مع سائر بنِي جنسه. إن الحياة والموت في الكتاب المقدس ليسا منفصلين تماماً الواحد عن الآخر بل إنهما يتداخلان. فالمرض يدفعنا بسرعة تجاه الموت،

اما الشفاء فيعيدنا الى الحياة. في هذه الأثناء، لابد لنا إذاً من التضرع الى اللـه بثقةٍ تامةٍ لأنه هو رب وسيد الحياة.
يكتب حزقيا ملك يهوذا في نص تعود كتابته الادبية الى 700 سنة قبل الميلاد فيقول:

"يا الهي إشفني ودعني أحيا... أنت حفظت حياتي من هاوية "الدمار"، عندما كُنت في منتصف عمري، سأذهب الى أبواب شيول، فقد حُرِمت من باقي سنيني" (أشعيا 38: 16-17-10).

ان شيول هي المكان المظلم والمجهول الذي أخذه اليهود من معتقدات الكنعانيين (السكان الاوائل الذين عاشوا في اسرائيل). فنراه يلتجيء للـه الذي يسكن في ملكوت الحياة.

- خلاص كلي، "في اليوم الثالث":-

إن موضوع خلود النفس المستقلة بذاتها عن الجسد ما كان مطروقا من قبل. فهذهِ المفاهيم اليونانية كانت لا تزال غير معروفة لدى اليهود. فخلاص الانسان يعني خلاص الانسان بكامله، وهكذا بالنسبة للهلاك فإنه يكون هلاك بالكامل.

هكذا تم فهم الخلاص منذ البداية كمشروع جماعي. فعندما خطيء شعب إسرائيل بابتعاده عن اللـه سقط في المصيبة : هزيمة، ترحيل، جلاء... ولكنه عندما كان يستيقظ ويبدأ مشوار العودة الايماني، نراه يلتجيء من جديد الى اللـه، ويسأله أن يسنده ليتمكن من الوقوف على قدميه ثانية، ويعيده الى الحياة مرة اخرى:

"تعالَوا نَرجِعُ إلى الرّبِّ لأنَّه يُمَزِّقُ ويَشفي، يجرحُ ويُضَمِّدُ، يُحْيينا بَعدَ يومينِ ويُقيمُنا في اليومِ الثَّالِثِ فنحْيا". (هوشع 6: 1-2).

إن نص التجديد هذا و"القيامة الكلية" يصبح رويداً رويداً، وبواسطة تأملات المؤمنين، رمزاً "للقيامة الشخصية". و"اليوم الثالث" يصبح رمزا للحياة.

بالنسبة ليسوع، ونظراً لاحتكاكه بتقاليد شعبه، فإنه يخاطبنا بنفس الإسلوب والسياق. اذ يخبرنا متّى:

"وبدَأَ يَسوعُ مِنْ ذلِكَ الوَقتِ يُصَرِّحُ لِتلاميذِهِ أنَّهُ يجِبُ علَيهِ أنْ يذهَبَ إلى أُورُشليمَ ويَتألَّمَ كثيرًا على أيدي شُيوخِ الشَّعبِ ورُؤساءِ الكهَنةِ ومُعلِّمي الشَّريعةِ، ويموتَ قتلاً، وفي اليومِ الثَّالثِ يَقومُ". (16: 21).

هكذا، فإن فكر الكتاب المقدس يتطوّر- بصورة متوازية مع فكرة "الخلاص الجماعي" للشعب. يُثار هذا الموضوع بصورة كبيرة من قبل حزقيال في رؤية العظام اليابسة. والتي تقوم، وتتغطى باللحم، وتعود الى الحياة، مما يعكس تأملاً بخصوص المصير والمكافأة الشخصية في اليوم الأخير.

- مصير الإنسان والمكافأة ألشخصية:-

كانت الفكرة اليهودية العامة تؤمن بالثواب الاكيد للابرار على هذه الارض. إلا أن الخبرة تناقض هذه الفكرة وبصورة مأساوية. فها إن اورشليم يحل فيها الدمار، والشعب – المكون معظمه من الناس الصادقين والأمينين- يُسبى الى بابل!

ولهذا تُحكى قصة أيوب البار الموثرة والذي يُضرب بأمراض شتى، يمكننا القول، انها موزعة على قدر استحقاقاته (فهو ينال

كماً هائلاً من القصاص بقدر الافضال التي عملها في حياته)... والقصة تُختتم بخاتمة سعيدة: اذ تاتي الخلاصة بناءَة وإيجابية (ولو متاخرة) فيعيد اليه كاتب القصة كل الخيرات التي كان يمتلكها قبلا "مئة ضعف" إلا أن نهاية القصة تبدو مبهمة وقصيرة.

لذا ينبغي التوقع بأن اللـه يجازي الابرار بطريقة اخرى، والتي تكون بلاشك بإعطائهم حياة جديدة كاملة، وخاصة لأنهم قبلوا بأن يُضحّوا بحياتهم ووجودهم لكي يظلوا مؤمنين. وهنا نستذكر أيضا المتحمسين الغيارى والمناصرين اليهود ألذين ثاروا سوية مع الاخوة المكابيين للعمل على طرد الاحتلال الوثني من أراضيهم، فهم يرفضون، ولو كلفهم ذلك حياتهم، تقديم الذبائح للأصنام:

> وفيما كانَ على آخِرِ رَمَق قال: "إنَّكَ أَيُّها المُجرِمُ تَسلُبُنا الحَياةَ الدُّنيا، ولَكِنَّ مَلِكَ العالَم، إِذا مُتْنا في سَبيلِ شَرائِعِه، سيُقيمُنا لِحَياةٍ أَبَدِيَّة". (2 مكابين 7: 9) النص من حوالي سنة 124 قبل الميلاد.

وقَبْلُهم ايضاً نرى النبي دانيال يعبّر عن هذا الرجاء بنص يعود الى 165 قبل الميلاد قائلاً:

> "كثيرٌ مِنَ الرَّاقِدينَ في أَرضِ التُّرابِ يَستَيقِظون، بَعضهم لِلحَياةِ الأَبَدِيَّة، وبَعضُهم لِلعارِ والرَّذلِ الأَبَدِيّ" (دانيال 12: 2).

بالنسبة لليهود، على خلاف سائر الديانات الشرقية الاخرى، فإن الحياة الجديدة الموعود بها ليست مجرد بقاء للروح: إنما الخلاص فيها كامل وشامل. إنها عطية من اللـه. إنها مكافأة عظيمة يعبر عنها بصورة الملكوت الموعود به في نهايات الازمنة: فهي العرس، والوليمة، والمدينة الجديدة. آنذاك سيبتديء حكم الديونة،

وفيه يَفصل الملك المسيح: "النعاج عن الجداءّ والاخيار عن الاشرار".

من المهم ان نعرف بأن القيامة هي شيء خاص بالأبرار فقط. أما الاشرار فلا توجد اي تفاصيل محددة عن مصيرهم، إذ يُذكر ببساطة بأنهم سيُحرمون من ألملكوت، ومن ألمائدة، وسيكون ألعذاب الأبدي مصيرهم. في الامثال التي يرويها، ينبّه يسوع على نوع المأساة لاؤلئك الذين إختاروا طريق الهلاك مستعملاً التصاوير التقليدية للجحيم، والظلام، والبكاء، وصرير الأسنان.

وهكذا اذن، يكوّن شعب إسرائيل فكرة واضحة عن "الحياة الاخرى" بشكل متأخر، في حين أن بلاد مصر وبين النهرين، والهند، إستطاعوا أن يصوغوا نظرية البقاء والمساهمة ببلوغ الخلود 2000 سنة قبل اليهود. وسنرى أيضا كيف أن الفريسيين (بولس هو اللاهوتي الاول حول فكر قيامة يسوع، وكان فريسياً) سيُظِهرون تقبلاً أكبر للإيمان بالقيامة. في حين أن مجموعات أخرى، كالصدوقيين على سبيل المثال، ما كانوا يعترفون بالقيامة: (انظر متى 22: 22-23).

2- القيامة في كلمات يسوع

إن فكر وكلمات يسوع حول القيامة تُفهم في سياق الاحداث الكبيرة لنهاية الازمنة. وذلك من خلال علامات تعلنها الارض والسماء. وذروة هذهِ الاحداث ستتم بالمجيء او الظهور المسيحاني لإبن الانسان، والذي سيأتي كدّيان (متى 24: 30). هكذا فان "القيامة" تُذكر في أحداث الدينونة الإسكاتولوجية (الاواخرية) المُزمِعة. يُعلن يسوع:

"إذا جاءَ ابنُ الإنسانِ في مَجْدِه، تُواكِبُه جَميعُ الملائِكة، يَجلِسُ على عَرشِ مَجدِه، وتُحشَرُ لَدَيهِ جَميعُ الأُمَم، فيَفصِلُ بَعضَهم عن بَعْضٍ، كما يَفصِلُ الرَّاعي الخِرافَ عنِ الجِداء" و" يُرسِلُ ابنُ الإِنسانِ مَلائكتَه، فَيَجْمَعونَ مُسَبِّبي العَثَراتِ والأَثَمَةَ كافَّةً، فيُخرِجونَهم مِن مَلَكوتِه" (متى 25: 31-32، 13: 41).

إن يسوع يعطي أهمية قصوى لمفهوم القيامة، كما يتبين من وصفه للدينونة. ففيها يُطبِّق نفس صيغة النبي دانيال بوصف مجيء الديان بصورة مخيفة:

"فقالَ يسوع: أَنا هو. وسَوفَ تَرونَ ابنَ الإنسانِ جالِساً عن يَمينِ القَدير، وآتِياً في غَمامِ السَّماء" (مرقس 14: 62).

هذا الوصف يشبه كثيراً التأكيدات في كتابات الرسل عن القيامة، كونها تُكتب في نفس الوقت، وعندما نضعها مع بعض سنرى بأنها تُكملّها. من هذا المنطق نرى بأن القيامة تخُصُ الأشرار

ايضاً مثلما تخص الابرار. إنها تَـتبع مجيء المسيح، وهذا يحلُ مشكلة المكافأة الشخصية وقت القيامة، فالقيامة يرافقُها تغييرٌ كاملٌ للوضع والظروف الآنيّة، إنها حياةٌ جديدةٌ.
إن الاناجيل، ويوحنا بصورة خاصة، تُطَّور هذه الفكرة، اي الوجود المتجدد، معطية لفِكر يسوع تعبيره وتفسيره الكامل.

- يسوع يستبق إعلان موته وقيامته:-

بالإعتماد على شهادات الإنجيليين الاربعة، بودنا أن نعرف كيف كان يفكر يسوع بقيامته الشخصية؟ فمن خلال كلماته هو، نجد أن قيامته تأتي مرتبطة دوماً بإعلان آلآمه. فهو يحكي مع التلاميذ بصورة أكثر وضوحاً وبإستمرار، من اللحظة التي فيها ينفجر سوء فهم كبير مع اولئك الذين أرادوا أن يجعلوه ملكاً أرضياً من أجل طرد المحتل الروماني، بعد معجزة تكثير الخبز، وهي علامة على قدرة عظيمة خارقة الطبيعة وجذابة لانظار الشعب.
وهنا يفاجيء يسوع سامعيه، ويحصل الشرخ، عندما يُعلن أمامهم أن ملكوته "ليس من هذا العالم". فتبدأ أزمة الثقة مع الناس، وتضرب الازمة حتى البعض من تلاميذه. وفي هذا الوقت تحديداً يبدأ يسوع:

> "وبَدأَ يُعَلِّمُهم أَنَّ ابنَ الإِنسانِ يَجِبُ علَيه أَن يُعانيَ آلاماً شديدة، وأَن يرْذُلَه الشُّيوخُ وعُظماءُ الكَهَنَةِ والكَتَبَة، وأَن يُقتَل، وأَن يقومَ بَعدَ ثَلاثةِ أَيَّام" (مرقس 8: 31).

وبعد تجليه على جبل طابور، حيث أظهر مجده الالهي أمام ثلاثة من تلاميذه المختارين:

> "وبَينَما هم نازِلونَ مِنَ الجَبَل أَوصاهم أَلاَّ يُخبِروا أَحداً بِما رَأَوا، إِلاَّ متى قامَ ابنُ الإِنسانِ مِن بَينِ الأَموات. فَحَفِظوا هذا الأَمْر وأَخذوا يَتَساءَلونَ ما

مَعنى القِيامةِ مِن بَينِ الأَموات. وسَأَلوهُ: لِماذا يَقولُ الكَتَبَةُ إِنَّه يَجِبُ أَن يأتِيَ إِيليَّا أَوَّلاً ؟ فقالَ لَهم: إِنَّ إِيلِيَّا يَأتي أَوَّلاً ويُصلِحُ كُلَّ شَيء. فكيفَ كُتِبَ في شَأنِ ابنِ الإِنسان أَنَّه سَيُعاني آلاماً شديدةً ويُزدَرى ؟ على أَنِّي أَقولُ لَكم إِنَّ إِيليَّا قد أَتى، وصَنَعوا بِه كُلَّ ما أَرادوا كَما كُتِبَ في شأنِه ولَمَّا لَحِقوا بالتَّلاميذ، رَأَوا جَمْعاً كَثيراً حَولَهم وبَعضَ الكَتَبَةِ يُجادِلونَهم. فما إِن أَبصَرَه الجَمْعُ حتَّى دَهِشوا كُلُّهم وسارَعوا إِلى السَّلامِ علَيه. " (مرقس 9: 9-15).

- من خلال العذاب، والطاعة التامة للآب:-

أمام الاخفاقات، يفقه يسوع رويداً رويداً النهاية المأساوية لرسالته. إن التأمل في الكتب المقدسة (مز16 ,22، وأناشيد العبد في أشعيا) يساند رؤية يسوع هذه لنهاية عمله. أضف الى ذلك، فإن هذه النصوص المقدسة نفسها تحكي ما وراء الآلآم والموت، عن الثقة التامة بخلاص اللـه. يشهد لذلك صراخه المدوي على الصليب:

"إيلي إيلي لما شبقتاني، إلهي إلهي لماذا تركتني؟" (متى27: 46).

إنطلاقاً مِن هذا ألمنظور، فإن "القيامة" عند يسوع هي تعبير عن الثقة البنوية بطيبة الآب. إنها رجاء وإيمان. وعلى ضوء نصوص النبوأت (والنصوص العبرية المعاصرة) فإن القيامة عند يسوع هي قمة التعبير الروحي للطاعة البنوية للـه، والتي يجب أن تمر بخبرة الألم والموت. وهكذا فإن القصص الانجيلية المكتوبة على ضوء الإيمان الفصحي، أعطت لهذا الوعي البنوي بصمة مميزة بثقة نبوية.

3- قيامة يسوع

يؤكد القديس جيروم من القرن الثاني الميلادي بأن "القبر الفارغ صار مهداً للمسيحية". وهذه هي الحقيقة بعينها. سنتناول الآن كتابات وروايات الشهود ألذين عاينوا "المسيح القائم بالجسد"، ونتعرف على النصوص الاولى التي عبرت عن هذا الايمان والتي تقترب من تلك الاحداث بحوالي 20 او 30 سنة من حدوثها.

إن يسوع يموت على تلّة الجلجلة، خارج أسوار اورشليم، حوالي السنة 33 ميلادية. وهنا تبدأ الجماعات المسيحية الاولى تُعبّر عن أيمان الرسل: "لقد قام المسيح". يُدخل لوقا هذهِ الشهادات الإيمانية المبكرة في بداية كتابه الثاني "أعمال الرسل" الذي يكتبه بعد الأنجيل، ويخصّصه للمسيحية ومؤسِسِها.

من جانبه، يكتب القديس بولس ما بين سنة 51 و62 ميلادية عدّة رسائل ليعلّم ويوجّه الكنيسة من بَعدِه، تلك الكنيسة التي أسسها على شواطيء البحر المتوسط. فنجده يتكلم عن قيامة المسيح حوالي 52 مرة. وهذا يدل على أهمية "القيامة" المركزية في تعليمه اللاهوتي. فلنقرأ احد النصوص الأكثر قِدَما، من الرسالة الاولى الى قورنيثة (حوالي سنة 55). إذ يذكر فيها بولس بعض التقاليد التي تعود الى وقائع الآلام والقيامة:

"أُذَكِّرُكم أَيُّها الإِخوَةُ البِشارةَ الَّتي بَشَّرتُكم بِها وقَبِلتُموها ولا تَزالونَ علَيها ثابِتين، وبِها تَنالونَ الخَلاصَ إِذا حَفِظتُموها كما بَشَّرتُكم بِها، وإِلاَّ فقَد آمَنتُم باطِلاً. سَلَّمتُ إِلَيكم قبلَ كُلِّ شيَءٍ ما تَسَلَّمتُه أَنا أَيضًا، وهو أَنَّ المسيحَ ماتَ مِن أَجْلِ خَطايانا كما وَرَدَ في الكُتُب، وأَنَّه قُبِرَ وقامَ في اليَومِ الثَّالِثِ كما وَرَدَ في الكُتُب، وأَنَّه تَراءَى لِصَخْر فالاْثَني عَشَر، ثُمَّ تَراءَى لأَكثَر مِن خَمْسِمِائَةِ أَخٍ معًا لا يَزالُ مُعظَمُهُم حَيّاً وبَعضُهُم ماتوا، ثُمَّ تَراءَى لِيَعْقوب، ثُمَّ لِجَميعِ الرُّسُل، حتَّى تَراءَى آخِرَ الأَمرِ لي أَيضًا أَنا السِّقْط. ذلك بأَني أَصغَرُ الرُّسُل، ولَستُ أَهْلاً لأَن أُدْعى رَسولاً لأَنِّي اضطَهَدتُ كَنيسةَ اللـه، وبِنِعمَةِ اللـه ما أَنا علَيه، ونِعمَتُه عَلَيَّ لم تَذهَبْ سُدىً، فقَد جَهَدتُ أَكثَر مِنهُم جَميعًا، وما أَنا جَهَدتُ، بل نِعمَةُ اللـه الَّتي هي معي. أَفكُنتُ أَنا أَم كانوا هُم، هذا ما نُعلِنُه وهذا ما بِه آمنَتُم. فإِذا أُعلِنَ أَنَّ المسيحَ قامَ مِن بَينِ الأَموات، فكَيفَ يَقولُ بَعضُكُم إِنَّه لا قِيامةَ لِلأَموات؟ فإِن لم يَكُنْ لِلأَمواتِ مِن قِيامة، فإِنَّ المسيحَ لم يَقُمْ أَيضًا. وإِن كانَ المسيحُ لم يَقُمْ، فتَبشيرُنا باطِلٌ وإِيمانُكُم أَيضًا باطِل. بل نَكونُ عِندَئِذٍ شُهودَ زُورٍ على اللـه، لأَنَّنا شَهِدْنا على اللـه أَنَّه قد أَقامَ المسيح وهو لم يُقِمْه، هذا إِن صَحَّ أَنَّ الأَمواتَ لا يَقومون" (1 قورنيثة 15: 1-8).

فما هي ألغاية وألهدف من كلامه هذا ياترى؟ على بولس أن يدافع عن إيمان القورنثيين ويحررهم من شكوكهم بخصوص الحياة الاخرى، والقيامة الشخصية. وهو يدافع معتمداً على قناعة

مشتركة: وهي أن قيامة المسيح هي إستباقٌ وضمانٌ لقيامتنا. وهذه الحقيقة ليس بوسع اي كان أن يتحداها. إن بولس يتوصل الى هذا الفهم والإدراك الشخصي بالإعتماد على تقليد الكنيسة المباشر: "أُذكركم ببشرى الخلاص التي حمِلتها اليكم"، وأيضا "أُسَّلم اليكم التعليم الذي أنا تلقيته". لابد وإن التقليد الكنسي كان قد تثبّت منذ وقت مبكرٍ جداً بالنسبة لقضية بهذه الأهمية كالقيامة. ويَذكُر القديس بولس بعض الجوانب الجوهرية:-

- "وقد قُبر": إنها شهادةٌ بخصوص حقيقة الموت. "وقام في اليوم الثالث": وهنا نتذكر نبوءة هوشع بخصوص "اليوم الثالث" والذي هو يوم القيامة.
- "وقد ظَهَرَ": المسيح نفسه هو الذي يقوم كل مرة بالمبادرة، كما سنرى في روايات الظهورات. إن كلمة "ظهور" هي تعبير معروف في العهد القديم، ولكنها لا تحدد نوعية او هوية الرؤية.

- بولس يكتب القائمة الرسمية بأسماء الشهود:-

يقع الشهود في فريقين: بطرس والاثني عشر، ويعقوب وسائر الرسل. وهناك دليل ثابت على "أن أغلبهم كان لا يزال حياً وقتذاك" وهذا يمثل تَعّهداً بالمصداقية. وفي النهاية: "ظهر أيضاً لي، أنا السقط" وهذا المصطلح يخصُّ الطفل الذي يولد من دون أن يتعرف الى أُمه، عندما تموت ساعة الولادة. وهذهِ كانت بالضبط حالة بولس، لأنه رأى يسوع فقط في "رؤية" وهو على طريق دمشق: أي رآه بعد موته.

الرسول بولس يعطينا قائمة رسمية للشهود ذوي المصداقية، وهذه القائمة كانت مقبولة في كل الكنائس. لكنه لا يذكر بعض الشهود المذكورين في الأنجيل، كالنساء على سبيل المثال... ذلك لأن

شهادتهن ما كانت تَحظى بإعتراف قانوني آنذاك. في رسالة أُخرى. يقتبس بولس نص أقدم نشيد مسيحي معروف عن القيامة:

"إنهض أيها النائم، وقم من بين الاموات، فيضيء لك المسيح" (أفسس 5: 14).

ـ روايات الشهود:-

في السنوات ما بين 67 و80 ميلادية، وَجَدَ إيمان الكنائس المسيحية الاولى، تعبيراً نهائياً عنهُ في أربعة كتب تُشير الى أعمال وتعاليم يسوع وهي الأناجيل. ومن أجل صياغة الأناجيل كتابةً، إستعمل الانجيليون الروايات المتناقَلة بين الجماعات المسيحية التي عاشوا فيها. ولهذا السبب نجد أن هناك بعض الفروقات وأحياناً نجد تناقضات واضحة بين إنجيل وآخر. فبقدر إهتمام الإنجيليين بإختيار مصادرهم، يجب ألا نعتبرهم "صحفيين" بقدر كونهم "شهود" على تلك الاحداث.

كان الشيء الجوهري عندهم هو إعلان ايمان الجماعة الاولى منذ تأسيسها وبكل دقة. إيمان أصبح أكثر وضوحاً وقوة بعد إختباره ومروره بمشاكل الحياة اليومية. أضف الى هذا، لا يجب أن ننسى دور وحضور الروح القدس في كتابة الأناجيل، إذ وَعَدَ به يسوع تلاميذه "وسيذّكركم بكل ما قلته لكم".

ففي سنة 55 على سبيل المثال، كان قانون الإيمان يقول "ونؤمن بالمسيح المائت والقائم" (1 قورنيثة 15: 30-4). في سنة 65

صار التعبير أكثر غنىً: "ونؤمن بالله الآب، نؤمن بالمسيح المائت والقائم، ونؤمن بالروح القدس". وهذه هي خاتمة إنجيل متى (28: 19). وكلا هذين التعبيرين يأتيان في نفس السياق.

نلاحظ هنا فوراً بأن موضوع القيامة بذاته لم يتم تناوله على حدى في أي نص من نصوص العهد الجديد. ومن هنا تنطلق "الأناجيل المنحولة" (او المزيفة) بحرية في إختراع قصص مختلفة عن القيامة. وهكذا نرى إن صمت الأناجيل يعكس وبكل وضوح بأنه لا علاقة للأناجيل الاربعة بهذهِ القصص الخرافية.

- رويات القيامة عند مرقس ومتى:-

سندرس الآن روايتي مرقس ومتى، واضعين إياهما أزاء بعضهما البعض لإظهار النقطة المركزية وبصورة أكثر وضوحاً في كل إنجيل، كما وإظهار الفروقات فيما بينهما.

رواية مرقس (16: 1- 8): "ولَمَّا انقَضَى السَّبتُ اشتَرَت مَريمُ المِجدَلِيَّة ومَريمُ أُمُّ يَعقوبَ وسالومة طِيباً لِيَأتينَ فيُطَيِّبنَه. وعِندَ فَجْرِ الأَحَد جِئنَ إِلى القَبْرِ وقد طَلَعَتِ الشَّمْس. وكانَ يَقولُ بَعضُهُنَّ لِبَعض: ((مَن يُدَحرِجُ لنا الحَجَرَ عن بابِ القَبْر؟ فنَظَرْنَ فَرأَيْنَ أَنَّ الحَجَرَ قَد دُحرِجَ، وكانَ كبيراً جِدّاً. فدَخَلْنَ القَبْرَ فأَبصَرْنَ شَابّاً جَالِساً عنِ اليَمينِ عَلَيه حُلَّةٌ بَيضاء فَارتَعَبنَ. فقالَ لَهُنَّ: ((لا تَرتَعِبنَ! أَنتُنَّ تَطلُبْنَ يسوعَ النَّاصريَّ المَصْلوب. إِنَّه قامَ وليسَ ههُنا، وهذا هو المَكانُ الَّذي كانوا قد وضَعوه فيه. فَاذهَبنَ وقُلنَ لِتَلاميذِه ولِبُطرس: إِنَّه يَتَقَدَّمُكم إِلى الجَليل، وهُناكَ تَرَونَه كَما قالَ لكم. فخَرَجْنَ مِنَ القَبْرِ وهَرَبْنَ، لِما أَخَذَهُنَّ مِنَ الرِّعدَةِ والدَّهَش، ولَم يَقُلْنَ لأَحَدٍ شَيئاً لأَنَّهُنَّ كُنَّ خائِفات".

رواية متى: (28: 1- 8): "لمَّا انقَضى السَّبتُ وطَلَعَ فَجرُ يَومِ الأَحد، جاءَت مَريمُ المِجدَلِيَّة ومَريمُ الأُخرى تَنظُران القَبْر. فإِذا زِلزالٌ شديدٌ قد حَدَثَ. ذلك بأن مَلاكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّماءِ وجاءَ إِلى الحَجَرِ فدَحرَجَه وجلَسَ علَيه. وكانَ مَنظَرُه كالبَرْق ولِباسُه أَبيضَ كالثَّلْج. فارتَعَدَ الحَرَسُ خَوفاً مِنه وصاروا كالأَموات. فقالَ الملاكُ لِلمَرأَتَين: ((لا تخافا أَنتُما. أَنا أَعلَمُ أَنَّكُما تَطلُبأن يسوعَ المَصْلوب. إِنَّه ليسَ هَهُنا، فقَد قامَ كما قال. تَعالَيا فَانظُرا المَوضِعَ الَّذي كانَ قد وُضِعَ فيه. أَسرِعا في الذَّهابِ إِلى تَلاميذِه وقولا لَهم: إِنَّهُ قامَ مِن بَينِ الأَموات، وها هُوذا يَتَقَدَّمُكم إِلى الجَليل، فهُناكَ تَرونَه. ها إِنِّي قد بلَّغتُكما. فتَركَتا القَبرَ مُسرِعَتَينِ وهُما في خوفٍ وفَرحٍ عَظيم، وبادَرتا إِلى التَّلاميذ تَحمِلانِ البُشْرى".

- **شهادات متقارِبة بصيغ مختلفة:-**

منذ الوهلة الاولى لقراءة هذين النصيّن بالإمكان ملاحظة التقارب ما بين الشهادتين في كلتا الروايتين، رغم إختلاف إسلوب الكتابة وإختلاف السامعين.

فلو كان متى على سبيل المثال هو الوحيد الذي يكتب عن حدوث الزلزال (الاية 2) في لحظة القيامة (ويذكر ذلك في لحظة موت المسيح أيضاً)، فوصفه هذا معتمد على أساس أن إنجيله موجّه لليهود: فهو يخاطبهم بنفس لغة وعقلية أنبياء العهد القديم، من أجل إظهار المسيح كمكّمل للكتب المقدسة وكفاتح للعالم الجديد، بحيث أن الوصف الرمزي الكلاسيكي يحوي وجود الزلازل.

وبالرجوع الى لغة الكتاب المقدس نفسها، فان متّى يتكلم عن "ملاك الرب" في حين أن مرقس- الذي يكتب إنجيله للوثنيين البعيدين كلياً عن لغة وثقافة الكتاب المقدس- يتكلم عن "شاب يرتدي ثوباً أبيضاً". وهنا نجد التأكيد على حقيقة روحية ذي أهمية بالغة ألا وهي: إن اللـه يريد أن يبلغنا برسالة. هكذا فإن العنصر المركزي في كلتا الروايتين بالامكان إختصاره على النحو التالي: إن امرأتين من بين النسوة اللواتي رافقن يسوع خلال فترة تبشيره، وبعد يومين من موته، ذهبتا الى القبر من أجل تقديم الإكرام الأخير له. وهنا تجدان نفسيهما أمام سر عظمة اللـه: كون أن الحَجَر الكبير والذي كان يغلق باب القبر كان قد أُزيح، وكان حَجَراً ثقيلاً جداً.
واذ يَتلقينَ الخبر السعيد، يهرَعنَ مباشرة الى اصدقاء المعلم الناصري، مرتجفات من الخوف، وهكذا يدرك أتباعُه، مرة تلو الاخرى، الشكل الجديد لحضور يسوع: إنه الحاضر- الغائب.

تلميذي عماوس (لوقا 24: 13- 35):
إن هذا النوع من الحضور- الغياب يَظهر بريقه أيضاً من خلال هذهِ الرواية، ذات الاسلوب الشعري، واصفة إلتقاء المسيح مع تلميذَي عماوس:

> "وإِذا باثنَينِ مِنهُم كانا ذَاهِبَينِ، في ذلكَ اليَوم نفسِه، إِلى قَريَةٍ اِسْمُها عِمَّاوُس، تَبعُدُ نَحوَ سِتِّينَ غَلوَةٍ مِن أُورَشَليم . وكانا يَتحدَّثانِ بِجَميعِ هذِه الأُمورِ الَّتي جَرَت. وبَينَما هُما يَتَحَدَّثانِ ويَتَجادَلان، إِذا يسوعُ نَفْسُه قد دَنا مِنهُما وأَخذَ يَسيرُ معَهما، على أَنَّ أَعيُنَهُما حُجِبَت عن مَعرِفَتِه. فقالَ لَهما: ما هذا الكَلامُ الَّذي يَدورُ بَينَكُما وأَنتُما سائِرانِ ؟ فوَقفا مُكتَئِبَين. وأَجابَه أَحَدهُما واسمُه قَلاوبا: أَأَنتَ وَحدَكَ

نازِلٌ في أُورَشَليم ولا تَعلَمُ الأُمورَ الَّتي جرَتَ فيها هذهِ الأَيَّام؟ فقالَ لَهما: ما هي؟ قالا له: ما يَختَصُّ بِيَسوعَ النَّاصِريّ، وكانَ نَبيّاً مُقتَدِراً على العَمَلِ والقولِ عِندَ اللـه والشَّعبِ كُلِّه، كَيفَ أَسلَمَه عُظَماءُ كَهَنَتِنا ورُؤَساؤُنا لِيُحكَمَ علَيهِ بِالمَوت، وكَيف صَلَبوه. وكُنَّا نَحنُ نَرجو أَنَّه هو الَّذي سيَفتَدي إِسرائيل ومعَ ذلكَ كُلِّه فهذا هوَ اليَومُ الثَّالِثُ مُذ جَرَت تِلكَ الأُمور. غيرَ أَنَّ نِسوَةً مِنَّا قد حَيَّرنَنا، فإِنَّهُنَّ بَكَرنَ إِلى القَبْرِ فلَم يَجِدنَ جُثمانَه فرَجَعنَ وقُلنَ إِنَّهُنَّ أَبْصَرْنَ في رُؤيةٍ مَلائكةً قالوا إِنَّه حَيّ. فذَهَبَ بَعضُ أَصحابِنا إِلى القَبْر، فوَجَدوا الحالَ على ما قالَتِ النِّسوَة. أَمَّا هو فلَم يَرَوه . فقالَ لَهما: يا قَليلَي الفَهمِ وبطيئَي القَلْبِ عن الإِيمانِ بِكُلِّ ما تَكَلَّمَ بِه الأَنبِياء. أَما كانَ يَجِبُ على المَسيحِ أَن يُعانِيَ تِلكَ الآلام فيَدخُلَ في مَجدِه ؟ فبَدأَ مِن مُوسى وجَميعِ الأَنبِياء يُفَسِّرُ لَهما جميعِ الكُتُبِ ما يَختَصُّ به. ولَمَّا قَرُبوا مِنَ القَريَةِ الَّتي يَقصِدانِها، تظاهَرَ أَنَّه ماضٍ إِلى مَكانٍ أَبَعد. فأَلَحَّا علَيه قالا: أُمكُثْ مَعَنا، فقد حانَ المَساءُ ومالَ النَّهار. فدَخَلَ لِيَمكُثَ معَهما. ولمَّا جَلَسَ معَهُما لِلطَّعام أَخذَ الخُبْزَ وبارَكَ ثُمَّ كسَرَهُ وناوَلَهما. فانفَتَحَت أَعيُنُهما وعرَفاه فغابَ عنهُما. فقالَ أَحَدُهما لِلآخَر: أَما كانَ قلبُنا مُتَّقِداً في صَدرِنا، حينَ كان يُحَدِّثُنا في الطَّريق ويَشرَحُ لنا الكُتُبَ ؟ وقاما في تِلكَ السَّاعَةِ نَفْسِها ورَجَعا إِلى أُورَشَليم، فوَجَدا الأَحَدَ عشَرَ والَّذينَ مَعَهم مُجتَمِعين، وكانوا يَقولون إِنَّ الرَّبَّ قامَ حَقاً وتَراءَى لِسِمْعان" (لوقا 24: 13- 34).

يسوع إذن يظهر بعد يومين من موته، ولا يتعرفان عليه. لقد حُجبت معرفته عن عيون التلميذين الذين كانا يمشيان حزينين. وهكذا يتم التعرف على المسيح القائم ببطء، مرة تلو الاخرى. إن يسوع يُظهر نفسه الآن بطرق جديدة. فعلى طريق عماوس يَظهر: من خلال الاشارة الى الكتب المقدسة "أما كان قلبنا متقداً...عندما كان يشرح لنا الكتب المقدسة"، كما وأظهر نفسه بفعل "كسر الخبز" الذي يرمز للقربان المقدس.

وفي اللحظة الأخيرة التي يتم فيها التعرف عليه "في عيون القلب" بعد رؤية هاتين الاشارتين، يختفي الرب من أمامهما. كما لو أن لوقا يريد أن ينّبه قراء إنجيله "أن لا تبحثوا عن المسيح بأشكال خارقة الطبيعة، فإنكم ستجدونه حقيقيةً، حاضراً بالفعْلِ، في الكتاب المقدس والقربان المقدس.

واليوم لم يعد بالامكان رؤية المسيح جسدياً، لكنه حاضر بنوع آخر، ليعطي دافعاً للمسيحي ليكون هو بدوره شاهداً: فالتلميذان يبدآن الآن رحلة جديدة، لتبشير رفاقهما بالأخبار السارة.

- قصص الظهورات الثلاثة عند يوحنا:-

أ) يسوع يغدو "جسداً ممجداً" ويحمل السلام (يوحنا 20:19- 23).

هذه الرواية تحمل تعليماً للجماعات المسيحية الاولى. إذ تُقدم الظهورات كلها في اليوم الاول من الاسبوع والذي نسميه "يوم الاحد". فقد إعتاد المسيحيون الاوائل على الاجتماع في ذلك اليوم نفسه من كل إسبوع وإعتباره يوم الإحتفال بالرب القائم.

هكذا في كل مرّة، نجد أن يسوع نفسه هو الذي يقوم بالمبادرة ويُظهر ذاته. ولكنه الآن في حالة "المجد" إذ بإمكانه الحضور بجسده على الرغم من الابواب المغلقة.

إنه يحمل سلامه: هذا المصطلح الكتابي الغني بالمعاني، يشير بنفس الوقت الى التحية، وأيضاً الى الخلاص والمصالحة، وكل النعم التي تنبثق من اللـه. ان فرحة القيامة التي يجلبها يسوع هي فرحة ألسلام التي ليس بمستطاع البشر أن يسلبوها من الرسل.

ب – توما والمسيح القائم (يوحنا 20: 24- 29):-

ان هذا النص هو بمثابة خُلاصة مُرّكزة ليس فقط للجماعات ألمسيحية الاولى، بل ولنا نحن أيضاً:-

اولاً:- إن إيمان رسل المستقبل يجب أن يؤَسَس على شهادة الرسل. وآية: "طوبى للذين آمنوا ولم يروا" ليست توبيخاً لتوما، بقدر كونها إشارة لرسل المستقبل (كُتب إنجيل يوحنا حوالي 90 ميلادية حيث جميع الرسل – الشهود قد ماتوا، عدا يوحنا). فعلى هؤلاء أن يؤسسوا إيمانهم وبصورة فريدة على شهادة وتعليم الكنيسة، وليس بعدُ على الخبرة المباشرة والشخصية مع المسيح القائم. فالآن ينبغي الإيمان من دون أن نرى.

ثانياً:- ان الآم وقيامة يسوع يُشكّلان وحدة واحدة لا تنفصل. إن القائم والمصلوب هما الشخص نفسه: بحيث إنه لا يزال يحمل نفس الجروحات على جسده. في ذلك الزمان كان الرسول يوحنا يخوض معركة كبيرة مع شخص هرطوقي (خارج عن الايمان)، إسمه كيرينثوس، كان ينكر موت يسوع (الإله) على الصليب، وكان يُعلّم بأنه في لحظة الصلب تم إستبداله بشخص آخر. وهكذا

فان موتَه أُعتُبِر شكلياً (فسميت بالهرطقة التشبيهية او التظاهرية، القريبة من التفكير الابيوني بنكر لاهوت المسيح، وقد أُدينت في مجمع نيقية القرن 4). فكان جواب يوحنا بالرفض: فإن الصلب والقيامة يشكلان وحدة متكاملة: فالذي مات وقام هو يسوع نفسه.

ثالثاً:- إن اللحظة الاولى من كل ظهور للرب تُقابَل بشك الرسل: من المؤكد أن الإيمان ليس شيئاً سهلاً. والإيمان بيسوع القائم لا يُبنى على الرؤية فقط. ولهذا فإن قصص الظهورات قد كتبت من أجل تنوير إيمان القرّاء، لا من أجل إرضاء فضولهم. فالشك هو شيء طبيعي. لا بل إنه يشكل العنصر المشترك في كل قصص القيامة: فالشهود يعلنون بالإجماع "توّلد الشك في ألبداية".

ج- الترائي لمريم المجدلية (يوحنا 20: 11 – 18):-

من هذا المقطع نستطيع أن نعّين وبكل وضوح الهيكلية المشتركة لروايات الظهورات:

1- يسوع هو الذي يقوم بالمبادرة.

2- شك وتردد الذين يلتقونه.

3- التعرف عليه يتم من خلال علامة ما (كلفظ كلمة "يا مريم"، او علامة "كسر الخبز"، او إظهار أثار: المسامير على الجسد، او القيام بفعل: أكل السمك المشوي).

4- يسوع يرسلهم للبشارة.

- التعليم الذي نستقيه من قصص الظهورات:-

الآن سنحاول إيجاد ملخص مشترك لتعليم ألروايات المختلفة:-

1- لقد قام يسوع، وبلَغَ ملء الحياة في الملكوت الذي سبق وأعلن عنه، وسيُعِدّ مكاناً لأصدقائه. فها قد بدأت "الازمنة الاخيرة".

2- يسوع هو نفسه، ولكنه مختلف أيضاً: إنه الحاضر- الغائب. ولكن حضوره الآن هو بشكل داخلي- شخصي أكثر (إذ يتم التعرف عليه قلبياً)، وإنه سيعود.
3- يعهد برسالته التبشيرية الى أولئك ألذين ظهر لهم، من أجل الإستمرار بالبشارة، بقوة الروح القدس.
4- إنه "حاضر" بصورة خاصة وقت كسر الخبز: الاوخارستيا. هناك صلاة في القداس اللاتيني تقال علانية بعد رتبة التقديس: "إننا نعلن موتك يا رب، وننادي بقيامتك، وننتظر مجيئك".

نستنتج اذاً من خلال كلمات الشهود وبكل وضوح بأن خبرة التعرف على المسيح القائم هي خبرة ممكنة فقط لمن يُحب يسوع ويُخضع قَلبه كلياً له.

"فالجوهر مخفي عن الأعين: لكنه يُرى جيداً من خلال القلب وحده". (انطوان دي سان إكسوبيري)

ولهذا فان "سر" القيامة يفهمه المؤمنون فقط. فمثلما لم يُكثر يسوع من صنع المعجزات في بلدته، لأن أهلُها لم يؤمنوا به، هكذا لنفس السبب فإن يسوع لا يَظهر لقيافا او بيلاطس او لعظيم الكهنة... لكنه يظهر للمؤمنين فقط. وعلى طريق دمشق، كان على شاؤل الفريسي (بولس) تعديل مساره، من غير مؤمن، ليصبح مؤمناً من أجل أن يرى المسيح.

لماذا يُسمح إذن للمؤمن وحده أن يؤكد أن المسيح قام؟ لأن القيامة هي مكان التقاء الأبدي مع الزمني، هي دخول اللـه في زمن وتاريخ البشر. فلعازر صديق يسوع، والصبية التي نادها "قومي"، وإبن الأرملة من نائين، كانوا أمواتاً وأعاد يسوع اليهم الحياة، ولكنهم عادوا وماتوا ثانية في نهاية حياتهم. وعلى العكس من ذلك فإن المسيح القائم قد دخل الى الأبد في أبدية اللـه.

4- القيامة : مركز الإيمان

القيامة هي اذاً مركز المسيحية، لا بل هي الدين بأجمعه. فأن يكون الشخص مسيحياً يعني أن يؤمن بيسوع الناصري الذي قام بعد موته، وبهذا الفعل عينه جعل ألوهيته ساطعة مشعة.

وفي قيامته، نجد الرسل حيث يتم إعدادهم خطوة بخطوة لهذا الحدث الغير مسبوق، ويَنْظمّون أخيراً ويقتربون الى أقصى حد من التعرف الى سرِّه الإلهي. وآنذاك يدعونه "الرب" ويتعرفون فيه الى "ابن اللـه". فعلى ضوء القيامة يفهمون الوقائع التي صاروا شهوداً لها من قَبلُ: كالتجلي، والاعاجيب، والنبؤات.

وبالرغم من استنادها الى الشهادات الأكيدة والى سلسلة من الاشارات المتقاربة فيما بينها، فإن قيامة يسوع تبقى "سراً" كونها فعل إحتفالي عظيم يعّبر عن حرية اللـه: عندما إنحنى على قبر الإبن و"أقامه" وبعثه. هكذا إذاً، فمن أجل فِهم ما تعلّمه المسيحية بخصوص الحياة الاخرى، اي قيامة الجسد والحياة الابدية، يجب ان نعتبر أن قيامة يسوع هي الجوهر.

فإنه ذاق حقيقية طعم الموت الذي أصبح الآن مجرد نقطة عبور. وهكذا فَتَح الطريق أمام كل من يرغب أن يتبعه ويقتفي أثره ليبلغ بدوره القيامة. هكذا تصبح قيامة المسيح سبّاقة لقيامتنا، لأنه هو "باكورة الراقدين". فقد أحبنا لدرجة إعطاء حياته. فالحب يَظهر بأنه أقوى من الموت، واللـه الآب يُلبِسَه المجد.

إن هذه القيامة الموعودة لكل إنسان هي "شخصية" وهي بنفس الوقت "جماعية"، من أجل التأكيد على التضامن الفريد لبني البشر فيما بينهم. ومع ذلك فإنه يقال بأن ألدينونة العامة ستأتي في نهاية الازمنة، ذلك لأن "دينونة اللـه" لا يمكن أن تصبح مُطلقة قبل أن تنتهي كل آثار أعمالنا الشخصية. فكل عمل صالح أقوم به

الآن سيحمل ثماره لأجيال كثيرة مستقبلاً. وكل عمل ناقص تجاه من هم حولي ستصل عقباه للأجيال القادمة أيضاً. وها هي القيامة "بيننا" منذ الآن، وهي تُحضِّر "لنهايات الأزمنة". وقيامة يسوع الناصري هي إستباق لها. لابل إنها بالأحرى "حجر الزاوية" للمسيحية، هذا ما يكتبه بولس لجماعة قورنيثة:

"وإِن كانَ المسيحُ لم يَقُمْ، فتَبشيرُنا باطِلٌ وإِيمانُكُم أَيضًا باطِل" (1 قورنيثة 15 :14).

- مشكلة الانثروپولوجيا (علم الانسان) والمنطق:-

ان كل كلمة تُذكر، تأخذ معناها من السياق الثقافي العام الذي تُستعمل فيه، وهكذا أيضاً بالنسبة لكل إشارة الى "حياة ما بعد الموت" إذ تنتمي الى ذلك العالم والفكر.

وبخصوص مفهوم القيامة. فان كُتّاب شهادات القيامة التي قرأنا كانوا مشبّعين بثقافة الكتاب المقدس. ففي التفكير السامي ليس الانسان مُركّبا ثنائياً من نفسٍ وجسدٍ منفصلين، كما يفهمه الغربيين بسبب تأثير الفكر اليوناني وخاصة العقلانية والتي ننجذب تِلقائيا لإستعمالها.

بالنسبة للتفكير الكتابي، فإن الانسان هو وحدةٌ غير منفصلةٌ، وهو يظهر كلُّه بكُلّيته (كما يظهر يسوع)، بواسطة الروح: نفساً وجسداً في آن واحد. ومن أجل ان نكون أكثر دقة، فإن الجسد ليس منفصلاً عن النفس. فلا توجد في اللغة العبرية كلمة واحدة تصف بأن الجسد منفصل عن النفس. فمثل هذا المبدأ ما كان موجودا لدى الساميين، كما ولا يوجد حتى مصطلحٌ يُعبّر عنه.

فحسب الفكر العبري، فإن الجسد هو الوسيلة التي بها أرتبطُ بالآخرين وبالكون أيضاً. فيسوع من بعد موته كان يَظهر لأتباعه

"بنفس جسده". ولكننا لا نستطيع أن نقول ذلك أيضاً، لأنه لا يمكننا تحديد ماهية طبيعة ذلك الجسد، ناهيك عن إننا لا ندرك نوعيه مادته أيضاً. فهكذا يظهر لهم بالغرفة والابواب مغلقة**!** ويختفي فجأة من أمام أعين الشهود**!** لذا يشرح ذلك مار بولس متكلما عن "جسدٍ روحيٍ".

إن صعوبة فهم الغربيين لهذِهِ اللغة، يأتي قسم منه من حقيقة رؤيتهم للأشياء بطريقة مختلفة، بسبب الفكر اليوناني العقلاني والذي جعله "ديكارات" فكراً أكثر جموداً. ففي الفكر العقلاني يُنظر الى الجسد والنفس كحقيقتين منفصلتين، رغم أنهما متكاملان، إلا أنهما غريبين الواحد عن الاخر، هذا إن لم يَكونا أحياناً أعداء. ففي التفكير اليوناني نجد أن النفس (وهي الأنا الحقيقي) هي شبه محبوسة في الجسد. ولا تتحرر منه الا بالموت الذي يعيدها ثانية الى عالمها الحقيقي، عالم الارواح.

من هذا المنطق فإن قيامة الجسد هي شيء لا يمكن إدراكه من قبل اليونانيين. فأي سجين يا تُرى يقبل بالرجوع الى سجنه. وهكذا نجد الذين يسمعون بولس في مجلس الحكماء (الأريوپاغوس) في أثينا مضطربين عندما يكلمهم عن قيامة الاموات، ثم نراهم يسخرون منه. هكذا فالمسيحيين الغربيين ينتموت الى حضارتين: الحضارة الكتابية، بسبب تقليدهم الايماني. واليونانية، بسبب تقليدهم الثقافي الغربي.

- الافضل هو الكلام عن خلود "الشخص" الانسان:-

ان هذه الانثروبولوجيا الثنائية تشرح من جهة، مدى صعوبة الغرب في فهم تعبير "قيامة الجسد"، والتي نقولها في صلاة "نؤمن". أحياناً يتم تصّور مخطط يستعمل كِلا المفهومين الواحد تلو الاخر: فبعد الموت يبدأ قبل كل شيء خلود النفس، ومن ثم تتبع قضية عودة الجسد للحياة. ولكن من هذا الشرح يتبين كما لو إنه شيء متأخر، او أن قيامة الجسد تاتي جداً متأخرة. كما وغالبا ما تُنسى حقيقة أنه في العالم الآخر لا يوجد شيء إسمه "زمن"!

فمن الافضل إذن التكلم وبكل بساطة في خط التقليد الايماني، اي خلود الشخص البشري بالكامل. فالقيامة تعني بأن الكائن البشري "يقوم" ويحيا بكامله كليّا من بعد موته، كجواب لنداء اللـه له والذي يقيمه.

5- حياة ما بعد الموت : قيامة "الجسد"

(بلَيز باسكال) أحد المفكرين المسيحين العباقرة، يكتب تأملاً بلسان يسوع وهو يحاور ذاته: "ليس بإمكان الاطباء شفاءك، لانك ستموت في النهاية. تعال إلّي فاشفيك وأُعطي الخلود لجسدك". إن إيمان المسيحيين بالحياة الآخرة متجذر "بقيامة يسوع":

"إِنَّ المسيحَ قد قامَ مِن بَينِ الأَموات وهو بِكرُ الَّذينَ ماتوا" (1 قورنيثة 15: 20).

ذلك لان الموت لم يعد هو نفسه، خاصة بعد أن واجهه يسوع، وعَبَرَ من خلاله، وغلَبَه. فلنتذكر كلماته:

"أَنا القِيامةُ والحَياة مَن آمَنَ بي، وَإن ماتَ، فسَيَحْيا" (يوحنا 11: 25).

فالموت ليس موتاً من بعد ولا هو نهاية الوجود. فقد أعاد يسوع ذلك المعنى الذي كان ينبغي أن يحتفظ به الانسان الاول منذ بدء الأزمنة. اي الانتقال الى حياة جديدة. فيسوع بموته تغلب على الموت، فلم يصبح الموت من بعد إبطال للحياة او لأوجه الحياة، بل يصبح مدخلاً الى "بيت الاب"، الذي ينتظرنا شخصياً بذراعين مفتوحتين.

إن إيمان المسيحيين، على الرغم من هذا، ليس تخيلات بديعة او ملجأً للهروب من القيود البشرية التي تنتهى بختم الموت، ذلك لان الموت هو بداية الحياة الاخرى وإفتتاح اللقاء البهيج. والحياة الاخرى هي استمرارية الحالة الجديدة التي وُلدت مع الموت.

هذا هو التقليد المسيحي العريق. فقانون الايمان يُختتم بهذه المناداة:

"ونؤمن بقيامة الاموات، وبالحياة الجديدة في العالم العتيد، آمين"

أما صيغة قانون الايمان النيقاوي- القسطنطيني فتنتهي هكذا:

"وننتظر قيامة الموتى، وحياة جديدة في العالم العتيد".

هكذا نلاحظ بأن المسيحي، فيما يتعلق بموضوع الحياة الاخرى، يقول"اؤمن" لأنه يخضع ويقبل به لأنه وحي إلهي. وهو لا يقول "أعرف" كما لو كان شيئاً واضحاً كدليل عقلاني حاسم. القديس بولس يؤكد على ذلك:

"فنَحنُ اليومَ نَرى في مِرآةٍ رُؤيَةً مُلتَبِسة، وأَمَّا في ذلك اليَوم فتَكونُ رُؤيتُنا وَجْهًا لِوَجْه. اليَومَ أَعرِفُ مَعرِفةً ناقِصة، وأَمَّا في ذلك اليَوم فسَأَعرِفُ مِثْلَما أَنا مَعْروف" (1 قورنثة 13: 12).

هذا يعني أن المسيحية تؤكد بأن ألحياة الاخرى ليست خاضعة للطابع البشري فقط، ولكن أيضاً باعتبارها "رجاءٌ يُقتَبل" كهدية من اللـه.

إن الايمان بالحياة الاخرى في المسيحية يعني الإيمان بكلمة ووعد اللـه. ولكن هل بوسعنا يا تُرى ان نصف ماذا يوجد هناك؟ إنه لشيء صعب، ذلك كون كلماتنا تأتي من خبرتنا الارضية، ومن الثقافات المختلفة التي نشأنا عليها. ولكن ينبغي علينا ايضاً ان نجيب على الاسئلة التي نطرحها بكل صدق في مراحل حياتنا المختلفة، مثلاً: كيف سنعيش في الابدية؟ والى اي وقت؟ وكيف سيكون جسدنا؟ وكيف ستُحقق العدالة والدينونة؟

على مثل هذه الاسئلة تجيب المسيحية بعدة مصطلحات عقائدية كلاسيكية منها: قيامة الأجساد، السماء، المطهر، الجحيم، وواجبنا هو البحث والتقصي لدراستها.

- قيامة الجسد، وليس فقط الاجساد:-

كل ما قلناه بخصوص قيامة يسوع بجسده، يمكن تطبيقه على ما يسميه المسيحي "قيامة الجسد"، كونه يخص كل إنسان بمفرده من بعد موته.

نلاحظ بأن الكتاب المقدس يتكلم حالاً عن قيامة "اللحم" وليس "الجسد" فقط. ما يعني أن القيامة تشمل الكائن البشري بكليته. ففي الحياة الأُخرى، عند اللـه، لن نكون أرواحاً محضةً بل سنكون ذلك الانسان الذي نحن عليه الآن على هذهِ الارض، الفريد في العالم، بكامل شخصيته، وتاريخه، وجسده ايضاً. ولكننا لن نكون مقيدين ومُحددين من بعد بالزمان والمكان، بالمرض والخطيئة، بل نكون "ممجدين"، ومتحولين الى مجد اللـه.

كيف سيتم هذا؟ لأن القيامة والحياة الأبدية يخصّان الإنسان بكامله، هكذا فإن الجسد ليس ملحقاً إضافياً، بل هو من صلب كينونة الإنسان. مع ذلك فإن تصوّر القيامة والحياة الأبدية قد يختلف بحسب الثقافات والعصور.

وهكذا فإن الايمان المسيحي لا يأخذ موقفاً محدداً تجاه هذه القضية. فالرسول بولس على سبيل المثال، يعود الى المقارنة الكلاسيكية الكونية لبذور وسنابل القمح: فالجسد القائم لن يكون نفس الجسد المائت من بعدُ، مثل الزرع والبذور. فإنه سيكون متميزاً كتحقيق نهائي للمادة الفانية.

- **"يُزرع فاسداً، يقوم بغير فساد"**

ان بولس يشرح هذا التعبير الجذري:

> "وهذا شَأنُ قِيامَةِ الأَمواتِ. يَكونُ زَرْعُ الجِسْمِ بِفَساد والقِيامةُ بِغَيرِ فَساد. يَكونُ زَرْعُ الجِسْمِ بِهَوانٍ والقِيامَةُ بِمَجْد. يَكونُ زَرْعُ الجِسْمِ بضُعْف والقِيامةُ بِقُوَّة. يُزرَع جِسْمٌ بَشَرِيٌّ فيَقومُ جِسْمًا رُوحِيًّا. وإِذا كانَ هُناكَ جِسْمٌ بَشَرِيّ، فهُناكَ أَيضًا جِسْمٌ رُوحِيّ، فقد وَرَدَ في الكِتاب: كانَ آدمُ الإِنسانُ الأَوَّلُ نَفْسًا حَيَّة. وكانَ آدمُ الآخِرُ رُوحًا مُحْيِيًا" (1 قورنيثة 15: 42- 44).

بالتاكيد إن مصطلح "الجسد الروحاني" يبدو متناقضاً. فهذا المصطلح عند بولس لا يحدد الطبيعة الكونية والاثيرية للجسد بل يحدد اصلهُ:

> "فقد وَرَدَ في الكِتاب: كانَ آدمُ الإِنسانُ الأَوَّلُ نَفْسًا حَيَّة وكانَ آدمُ الآخِرُ رُوحًا مُحْيِيًا. ولكِن لم يَظهَرِ الرُّوحِيُّ أَوَّلا، بلِ البَشَرِيّ، وظَهَرَ الرُّوحِيُّ بَعدَه. الإِنسانُ الأَوَّلُ مِنَ التُّراب فهو أَرْضِيّ، والإِنسانُ الآخَرُ مِنَ السَّماء" (1 قورنيثة 15: 45،47).

فاستخدام مصطلح "روحاني" لاجل وصف الجسد القائم يعود بنا ايضاً الى "الروح" كتعبير عن قدرة اللـه. وبكلمات أُخرى فان القيامة ليست بداية أُخرى لوجود سابق قديم. بل هي خليقة جديدة، هي تحقيق وتجسيد كامل لحياة جديدة تعطى من اللـه، بقدرة روحه القدوس، معوضةً عجزنا وضعفنا كخليقة مائتة. فالجسد القائم سيبقى دائما جسدنا هذا نفسه. إنه جسد إنساننا الداخلي، والذي يحركه روح اللـه، وهو يتجدد يوماً بيوم منذ الآن (2 قورنيثة 4: 16).

ان هذا الجسد، ومن اجل يبقى دائماً وكاملاً من صنيعة اللـه، فهو يعود الى الروحانية لانها بيتنا منذ الازل. فالجسد هو مسكن إنساني ومع ذلك فهو "أبدي، لم يُصنع بأيدي البشر". فبناؤه قد إبتدأ اثناء وجودنا الارضي، ومع ذلك يمكننا القول بأنهّ "موجود في السماء" (2 قورنيثة 5 :1). من هذا المنظار، فان الذي قد دُعي للقيامة في الحياة الأبدية، هو جسدنا ذاته بكليته، والذي يحافظ عليه، ويدخله، وينّشطه، هو روح اللـه.

وبنفس هذا السياق، تأتي عقيدة انتقال مريم الى السماء والتي أُعلنت في 1950، إذ تحمل رسالة فحواها أن التحول والتغيير في الكون قد بدأ منذ الآن. وفي هذا العالم الجديد نجد يسوع المسيح الرجل الاول فيه، كما ونجد مريم العذراء وهي المرأة الاولى أيضا والتي تدخله. فلم يعرف جسد مريم الفساد. فمريم من دون سائر بني جنسها هي باكورة الخليقة الجديدة والمحوّلة والمُقامة من بين الاموات.

- **جسدٌ جديدٌ:-**

هكذا ستكون قيامتنا، فهي ليست إعادة التقمص او التناسخ على هذهِ الارض. ولا إعادة مؤقتة للحياة: فلعازر مات ثانية، رغم أنه اقيم من القبر سابقاً. ولا هي إعادة بناء جسدنا بدءاً بجزيئاته المنتشرة في الكون. بل هو فعلُ محبة ورحمة اللـه القدير، والذي يتمم فينا ما تممّه في يسوع في صباح القيامة.

> "**<u>أرض جديدة وسماء جديدة</u>**: إننا لنجهل الزمان الذي تبلغ فيه الأرض والبشرية نهايتهما كما أننا نجهل طريقة تحويل هذا الكون. إنه ليَزول حقاً شكل هذا العالم الذي شوّهته الخطيئة. ولكن نعلم أن اللـه يُعد لنا مسكناً جديداً وأرضاً جديدة حيث

يسود العدل وتفيض الغبطة وتتعدى كل رغبة في السلام خطرت على قلب الإنسان. حينئذٍ يُغلَب الموت؛ وفي المسيح يقوم أبناء اللـه؛ وما زرع في الضعف والفساد يلبس عدم الفساد، وتبقى المحبة وأعمالها، وتُعتَق من إستعباد الباطل كل هذه الخليقة التي جعلها اللـه للإنسان" (المجمع الفاتيكاني الثاني: دستور رعائي في الكنيسة: فرح ورجاء: 39).

- مشكلة متوازية:-

ماذا سيكون مصير الجسد في القبر ما بين لحظة الموت الشخصي والدينونة العامة في "نهاية الازمنة"؟ نلاحظ كلمة "لحظة" تشير الى الزمن الذي لا وجود له في العالم الآخر، في أبدية اللـه. هكذا فعوضاً عن تصور فترة مؤقتة لإنفصال النفس عن الجسد (قبل قيامة الأجساد) سيكون من الحكمة تطبيق وصف مار بولس للحياة الابدية، وبالتأكيد فإن حياتنا نحن ايضاً من بعد الموت، فهي ستبقى على ما هي عليه الان بعيون الايمان، مخبأة مع المسيح في اللـه: منتظرة "ظهور" المسيح وكذلك نحن أيضاً "سنظهر معه في المجد" (قولسي 3: 4).
يذّكرنا دانتي كاتباً:

"إننا كالدود، مولودون لنصبح فراشة ملائكية، تطير باحثة عن العدالة من دون تردد" (كتاب المطهر الجزء 10).

وهكذا بامكاننا ان نقول مع القديس اقليمس الاسكندري:

"لقد حول المسيح غروبنا المظلم الى شروق بهيج".

6- حياة ما بعد الموت : السماء

يكتب بولس

"فنَحنُ إِذًا واثِقون، ونَرى منَ الأَفضَلِ أَن نَهجُرَ هذا الجَسَد لِنُقيمَ في جِوارِ الرَّبّ" (2 قورنيثة 5: 8). ولهذا "وإِنِّي واثِقٌ بأنه لا مَوتٌ ولا حَياة، ولا مَلائِكَةٌ ولا أَصحابُ رِئاسة، ولا حاضِرٌ ولا مُستَقبَل، ولا قُوَّاتٌ ، ولا عُلُوٌّ ولا عُمْق، ولا خَليقَةٌ أُخْرى، بِوُسعِها أَن تَفصِلَنا عن مَحبَّةِ اللـه الَّتي في المَسيحِ يَسوعَ رَبِّنا " (رومة 8: 38-39).

هكذا هو الجوهر:- فإننا في الفردوس سنكون قريبين من ألرب، والى الأبد. والسماء ليست مكان معين، بل هي حضورٌ دائمٌ للـه المحبة. فهنا سيخُلق كيانُنا الداخلي من جديد. فهل هذا يعني بأننا سنقوم في نفس اللحظة التي نموت بها إذن؟

هنا نعود الى السؤال المطروح من قبلُ. إنه من الخطأ التخمين أو التكهن بشرح سر حياة اللـه مع الذين يحبهم. أليس من الأسهل ان نسلم ثقتنا به؟ على اي حال، من أجل الحصول على جواب ما، علينا النظر الى طرفي السلسلة، فهناك وجهتا نظر لا تتطابقان بالكامل الا اذا ضحينا باحداهما:

1- فبعد الموت ندخل في أبدية اللـه، حيث لا وجود للزمن من بعد. فإن الف سنة تساوي يوما واحداً في عيون اللـه، حسبما يقول المزمور. هكذا يمكننا القول نوعاً ما بأن النفس تدخل حالاً في القيامة "في نهايات الازمنة". فعندما يَقبلني اللـه كما أنا بالكامل، فلديّ الدافع لأن أقول بأنه قد أقامني، وبأنني "في السماء" ذلك لأن "السماء" هي اللـه بالذات.

2- ولكن العالم سيستمر ويكمل التاريخ حتى بعد موتنا، وبالنسبة للعالم فان"اليوم الاخير" لم يأتِ بعدُ. وهكذا فإنني متحد مع كل البشر ضمن مخطط المسيح الخلاصي:

"فنَصِلَ بِأَجمَعِنا إِلى وَحدَةِ الإِيمانِ بابنِ اللـه ومَعرِفَتِه ونَصيرَ الإِنسان الرَّاشِد ونَبلُغَ القامَةَ الَّتي تُوافِقُ كَمالَ المسيح" (أفسس 4: 13).

ولهذا علي أن أقول أيضاً بأنني ساقوم مع جميع البشر في اليوم الأخير". فما يحدث لنا من بعد الموت، سيكون كمفاجأة بيد اللـه. ولكننا متأكدين من ضمان شيء واحد وهو: "بأننا سنرى اللـه".

- لقد خُلقنا من أجل أن نرى اللـه:-

في خطبة الوداع، يطلب يسوع أمام الرسل:

"قالَ يسوعُ هذهِ الأَشياء، ثُمَّ رَفَعَ عَينَيهِ نَحوَ السَّماءِ وقال: يا أَبتِ، قد أَتَتِ السَّاعة: مَجِّدِ ابنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابنُك. بِما أَولَيتَهُ مِن سُلطانٍ على جَميعِ البَشَر لِيَهَبَ الحَياةَ الأَبَدِيَّةَ لِجَميعِ الَّذينَ وهبتَهم له. والحَياةُ الأَبدِيَّة هِيَ أَن يَعرِفوكَ أَنت الإِلهَ الحَقَّ وحدَكَ ويَعرِفوا الَّذي أَرسَلتَه يَسوعَ المَسيح." (يوحنا 17: 1، 3).

فِممَ تتأسس هذهِ "الحياة الابدية" والتي هي مبنية على "معرفة اللـه"؟ نرى الرسول يوحنا نفسه يتواصل في احدى رسائلهِ قائلاً:

"أَيُّها الأَحِبَّاء نَحنُ مُنذُ الآنَ أَبناءُ اللـه ولَم يُظهَرْ حتَّى الآن ما سَنَصيرُ إِليه. نَحنُ نَعلَمُ أَنَّنا نُصبِحُ عِندَ ظُهورِه أَشباهَه لأَنَّنا سَنَراه كما هو" (1 يوحنا 3: 2).

أما مار بولس فيشرح من جهته:

"فنَحنُ اليومَ نَرى في مِرآةٍ رُؤيةً مُلتَبِسة، وأَمَّا في ذلك اليَوم فتَكونُ رُؤيتُنا وَجْهًا لِوَجْه. اليَومَ أَعرِفُ مَعرِفةً ناقِصة، وأَمَّا في ذلك اليَوم فسَأَعرِفُ مِثْلَما أَنا مَعْروف" (1 قور 13: 12).

فرؤية اللـه في الفردوس هي المركز وهي كل شيء بالنسبة للحياة الأبدية.

اننا سنراه "وجهاً لوجهٍ كما هو". وعلى الأرض يؤكد المتصوف يوحنا الصليبي، بأن الإيمان هو رؤية اللـه وجهاً لوجهٍ وسط الظلمة. وأما في السماء فسنراه وجهاً لوجهٍ وسط النور. وهذهِ الرؤية ستعطينا سعادة كاملة، ولهذا يتكلم التقليد المسيحي عن "الرؤية الطوباوية".

إننا بالتاكيد نشترك منذ الآن وعلى هذهِ الارض بشيء من جمال اللـه: عندما نشاهد منظر الغروب، او منظرا خلاباً رائعاً. كما وإننا نذوق أيضاً قليلاً من طيبته: عندما نرفق بالمريض، او نشاهد وجه أُم تنظر بحنان الى وليدها. ولكن هذهِ تبقى مجرد تشابيه تقريبية لوجه اللـه، متشابهة مع الصور الغير كاملة والتي تذّكر بولس بالمرآة القديمة العاجزة عن عكس كامل الصور.

اما في الحياة الاخرى فإننا سنتمتع برؤية مباشرة شفافة، من دون الحاجة الى وسيط. فإننا سندخل مباشرة في حياته وفي فَرحهِ، كما في مثل العبد الأمين الذي يعطيه سيده الطوبى "أدخل الى فرح سيدك".

- **رؤية تُشبع كل رغباتنا:-**

إن هذه الرؤية ستتشبع رغباتنا كلها، من الحب والحنان والجمال. إنها ستُرضي كل أحاسيسنا الروحية وليس فقط إحساس النظر.

فعندما يصف الرسول يوحنا اورشليم السماوية فإنه يخاطب كل الأحاسيس

> "وهي تتلألأ مثل الكرسيتال" و"مثل نهر ماء ألحياة براقاً كالبلور"، "وشجرة تعطي الحياة، وتثمر اثنتا عشرة مرة في السنة، لكل شهر ثمره الخاص به" "ليسوا بحاجة بعد الى سراج أو الشمس، لأن الرب الإله سيضيء لهم" (رؤيا 21 و 22).

إن هذه الرؤيا ستروي عطشنا الى ما لانهاية.

إن الرغبة الطبيعة للانسان، والربيع الذي يحركه ويجعله يحيا، تكمن في رؤية اللـه والاتحاد معه، ورغم أن هذه الرغبة تتفتت في هذهِ الحياة الى رغبات صغيرة وتلتهي بأشياء صغيرة: كالمال، والسلطة ، والعاطفة... الا انه هناك فوقُ يجد الانسان (المسافر الابدي، والعديم الرضى، والباحث عن الأبديات) أخيراً الراحة الكاملة لقلبه، ولروحه، ولكافة حواسه. وهذا الدرس نتعلمه من المتصوفين مثال يوحنا الصليبي: "هنا تحتُ تحاول النفس ان تعرف اللـه أكثر. ومحبتها هذهِ سوف تُشبع فقط من خلال رؤيته وحضوره".

ولكن كيف بإمكان روح الانسان، المحدودة، وألهشّة، ان تتحمل شدّة تلك الرؤية والتي تفوق بصورة لا متناهية ما بإمكانها ان تفهم او تستوعب؟ إن التقليد الصوفي يُخبرنا بأنه على الروح أن تبلغ في اللـه "تجلياً داخلياً" يسمى "نور المجد".

"وبنورك نُبصر النور" (مزمور 36: 10): إنه يشبه نوعاً ما إشعاعاً من مجد اللـه نحو الانسان، والذي يُمّكنه أن يرى مجد اللـه وجهاً لوجه. ومع هذا فان كل واحد، رغم انه غرق في وحدة النور والمحبة هذهِ، فإنه يبقى محافظاً على شخصه وكيانه. وأن نكون غارقين في اللـه لا يعني بأننا نذوب فيه. ففي المسيحية فان

كل مخلوق، على الرغم من كونه غارقاً تماماً في لهيب محبة اللـه، يبقى محافظاً على هويته كاملةً.

- **كمال الوجود:-**

متى تنتهي اذن هذهِ "الرؤية الطوباوية"؟ إنها لا تنتهي قط**!** لأنه ما أن نبلغ درجة الكمال مع اللـه الذي يملأ ويُشبع رغبات قلبنا اللامتناهية، فان القبول والإنصياع يصل أقصاه أمام حب لا يعرف التراجع. اذاً، فأبدية "رؤية اللـه" هي فترة بلا نهاية. هكذا تشكل أبدية اللـه في الحقيقة احدى صفاته: فدرجة شدة مجده العظيمة هذه لا تجعل الانسان يستغرب او يتعجب من وجوده في حالة المجد مع مرور الوقت.

هكذا فان اللقاء مع اللـه يوسع قابليات واقعنا البشري كلها، وقابليات قلبنا قبل كل شيء. إنها فرحة اكيدة لِسعادة: "لا يمكن لاحد ان ينتزعها منا". فرحة اللقاء بالذين أحببناهم، من دون عائق يحول بيننا من بعد، كالذي يمنعنا من عيش المحبة مع الذين إنفصلوا عنا. إنها فرحة مساعدة اولئك الذين لا يزالون يسيرون على طرقات العالم، كما كانت تقول القديسة تريزا الطفل يسوع:

> "سامضي وقتي في السماء في صنع الخير على الارض".

إنها فرحة الغفران، بحيث أننا لن نذوق من بعد طعم مرارة الشعور بالذنب ولن يملأ قلبنا من العذاب والندم.

ما يحصل لنا هو اذا توسيع إنسانيتنا في بعدها الجسدي

> "فادِيَّ حَيٌّ وسيقوم الأَخيرَ على التُّراب. وبَعدَ أَن يَكونَ جِلْدي قد تَمَزَّق أُعايِنُ اللـه في جَسَدي" (ايوب 19: 25- 26).

فجسدنا سنجده مثلما هو عينه، وفي نفس الوقت سيكون مختلفاً أيضاً، لأنه سيصبح "جسداً روحانياً". ولكنه جسد حقيقي مثل جسد يسوع عندما ظهر لتلاميذه وظهر لتوما، الذي يلمس، ويرى يديه ورجليه وجبينه. سيكون جسداً لا يعرف المرض من بعد، وليس محدداً بالزمان والمكان، جسداً كامل الشفافية.

- تحت سماوات جديدة وعلى ارض جديدة:-

هنا يتم الكلام عن كونٍ واقعي حقيقي، حيث يرتبط الانسان بمحيطه: اذ يصفها سفر الرؤية، (الكتاب الاخير في الكتاب المقدس) بكثير من الرموز. إن الواقع يقول كما يحددها بولس:

> "فالخَليقةُ تَنتَظِرُ بِفارِغِ الصَّبْرِ تَجَلِّيَ أَبناءِ اللـه. فقد أُخضِعَت لِلباطِل، لا طَوْعًا مِنها، بل بِسُلطانِ الَّذي أَخضَعَها، ومع ذلك لم تَقطَعِ الرَّجاء. لأَنَّها هي أَيضاً ستُحَرَّرُ مِن عُبودِيَّةِ الفَسادِ لِتُشارِكَ أَبناءَ اللـه في حُرِّيَّتِهم ومَجْدِهم. فإِنَّنا نَعلَمُ أَنَّ الخَليقةَ جَمْعاءَ تَئِنُّ إِلى اليَومِ مِن آلامِ المَخاض" (رومة 8: 19-22).

ان فرحة التطويبات هذه، المتعددة الاشكال، ستُقيَّم وتُعطى على قدرالمحبة التي يُظهرها كل إنسان أثناء مشوار حياته الارضي. ففي مثل الوزنات، نجد أن كل خادم هو مدعو الى "فرح" سيده، ولكن كل واحد منهم ينال المكافأة على قدر إستحقاقه وجهده. إلا أن عدم المساواة هذهِ لا تصبح مصدراً للحسد، بل مصدراً للفرح والبهجة، من أجل فرحة الاخرين.

7- حياة ما بعد الموت : الدينونة، والمطهر، والجحيم

القول "بأن كل شخص سيُكافأ بحسب إستحقاقه" يعني التأكيد على حقيقة وجود الدينونة. لأن يسوع "آتٍ ثانية ليدين الأحياء والاموات" كما يقول قانون الإيمان. وفي أحد الامثال التي يرويها يسوع فإنه يضع في مركز المشهد قصة "مجيء إبن الانسان"، والذي سيفصل في نهاية الأزمنة الأخيار عن الأشرار، قائلا لهم: "بالحقيقة اقول لكم، كل ما فعلتموه (اطعمتم، كسيتم، داويتم، زرتم) لأحد إخوتي هؤلاء الصغار، صنعتموه لي... وكل ما لم تفعلوه لاحد إخوتي الصغار، فلم تفعلوه لي" (متى 25: 31-46).

إن الدينونة "العامة" ستحكم بالحقيقة على أعمال كل شخص بذاته أيضاً. على غرار الإبن الشاطر الذي ذهب بعيداً عن بيت الآب، لكنه "يعود الى نفسه" ويعترف بمرارة: "يا أبت لستُ مستحقاً من بعدُ أن أُدعى لك إبناً"، فنفس الشيء سيحدث في لقائنا الاول مع اللـه عند موتنا: فعلى ضوء محبته سندرك هويتنا ومن نحن على حقيقتنا.

إلا أن اللـه ليس بالحقيقة إله ديّان، بقدر ما أننا سنُدين ونُقيّم حياتنا في وسط نوره. وفيما يتعلق بالباقي فإن يسوع يؤكد:

> "وإِن سَمِعَ أَحَدٌ كَلامي ولَم يَحفَظْه فأَنا لا أَدينُه لأَنِّي ما جِئتُ لأَدينَ العالَم بل لأُخَلِّصَ العالَم" (يوحنا 12: 47).

وهنا ايضاً، فبما أننا سنتحمل شخصياً مسؤولية أعمالنا، كون أن أحد جوانب الدينونة هو شخصي، لذا يتم الكلام الآن عن الدينونة الفردية.

فمثلما نحن في نفس الوقت متضامنين الواحد مع الآخر، هكذا فان أعمالنا تؤثر الواحد على الاخر، وهنا يتم الكلام عن الدينونة العامة او النهائية: وهي تكشف عواقب الروابط التي تجمع وتوّحد كل الخلائق التي في الكون: المنظورة وغير المنظورة. ومن هذا المنطلق، يخبرنا التقليد الكنسي بأنه قبل ان نَبلًغ درجة "الرؤية الطوباوية" ينبغي علينا المرور بمرحلة التنقية أو "المطهر".

المطهر:-

المطهر كمكان محدد، يظهر متأخراً في النصوص المسيحية في قرابة نهاية القرن 12. وبالحقيقة فإن عرضه بصورة خيالية كمكان مشحون بالتهديدات والعذابات، يظهر مختلفاً كثيراً عن صورة إلهنا، إله الظهورات العذبة. ومن جهة ثانية، فاننا نعرف ومن دون شك بأننا سَنُدانُ بموجب حياتنا التي عشناها على الارض. فلا بد إذا ان تكون هناك عدالة، بحيث تُعطي لكل ذي حقٍ حقه. وهذا ما نحسّه ونعتبره صحيحا حتى داخلياً في ضمائرنا.

فان ذلك الذي يجعل قلبه متصلباً كثيراً ومنغمساً في براثن الخطيئة، لابد له أن يتطّهر من نجاستها اولاً، في سبيل بلوغ هدف الإتحاد مع اللـه. إن العقيدة المسيحية بخصوص المطهر تعتبرنا خطأة قبل كل شيء، إذ نقف امام قداسة اللـه المُطلقة: فمن يستطيع يا ترى ان يدّعي بأن يستحق هذهِ المكانة؟

فالمطهر ليس اذاً مكان شبيه بجهنم ذي نار هادئة. كما وليس له وقت محدد موضوع على التقويم او الروزنامة، كما هو الحال مع أحكام السجن. كما أنه ليس ايضاً مثل محكومية السجن، نقضيها ونحن متعذبين. بل إنه تطهير، ومسيرٌ في نور اللـه، نقيس

بواسطته الهوّة العظيمة الموجودة بين ما فعلناه ورأيناه، وبين ما كان اللـه- محبة ينتظره منا فِعله.

من هنا تأتي صورة النار، والتي تعمل على التطهير من الخبث أكثر من كونها قصاص. على غرار الذهب الذي يتنقى عندما يُمرر بالنار. وبالنسبة للمسيحي، فإن هذهِ العملية هي التي تُكّمل في الانسان ما قد بدأه في العماذ: أي التشبّه بالرب. ومن أجل أن يكتمل هذا التشّبُه والشفافية أمام نور اللـه، فإن نار محبته ستَحرق كل نجاسة وكل مقاومة مخفية. إنها "تجربة" توضيح ألرؤية، لتتمكن من ازالة اي عقبة تمنعها من الرؤية الكاملة للـه.

ان اللاهوت الشرقي الارثودوكسي يرى هذا الوقت على أنه أيضاً فترة إنتظار، تتزين اثناءه الخطيبة وتتحلى بالحلي تحضيراً للقاء زوج المستقبل، لقاء الى الأبد.

ومن روحية مَثل "مدعوي وليمة العرس" إذ يُطلب منهم الحضور بملابس العرس من أجل الدخول الى مأدبة العرس... يكتب (جين ديلومو) باسلوب مألوف:

> "لا اريد الذهاب لملاقاة الرب من دون الاستحمام اولاً، ولبس قميص نظيف وجديد. مع أبسط درجة من التحلي بالاخلاق الطيبة، والاحترام البنوي، واللذان يدفعانني لإشتهاء النظر الى ما بداخلي قبل التوجه للجلوس على طاولة المائدة".

وتشبيه آخر يأتينا من قصة "الإبن الضال" والذي يركض للقاء والده: "يا أبت، لقد أخطأت قدام اللـه وقدامك!" لكننا نلاحظ بأن الآب قد سبق لقاء الابن

> "وإذ رآه من بُعد، القى بنفسه على عنقه وحضنه".

هذا هو المطهر، عندما يعجّل اللـه في لقاءنا من أجل أن يحضننا. وهو أيضاً يعتمد على وثبتنا وإندفاعنا المتواضع تجاهه. هكذا يتدفق الاعتراف والإقرار بخطأنا في نفس لحظة اللقاء. والدموع التي تنهمر هي دموع حقيقية، دموع الفرح، وأيضاً دموع الندامة على الماضي المرير. وهكذا فإن المطهر هو مكان المحبة، إنه المدخل الذي من خلاله نستطيع الوصول الى المحبة الابدية.

- الصلاة من أجل الموتى:-

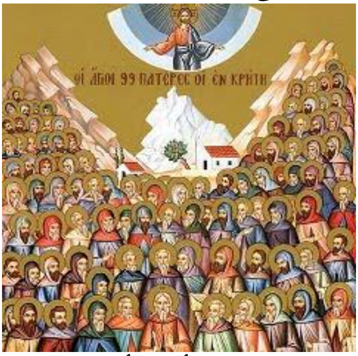

ان"عقيدة المطهر" هي مرتبطة أيضأ بعقيدة "شركة القديسين" أي التضامن ما بين الأحياء الذين على هذهِ الارض واولئك الذين في السماء. وهذهِ مرتبطة أيضاً باحدى أقدم التقاليد وهي: الصلاة لاجل الموتى. إذ إننا في تضامن اؤلئك تركونا وتركوا هذا العالم. ان هذهِ الصلاة لا تتكون من مجموعة أشياء موضوعة على ميزان اللـه الديّان، كما أنها ليست إحصاء للايام والسنين كضمان للاسراع باطلاق سراح "الانفس المطهرية" من السجن. فمحبة اللـه تفوق كل حساباتنا وتختصرها، لان المحبة هي مجانية.

هكذا فإن الصلاة تعتمد على الثقة المولودة من الايمان بأن التضامن مع من نحب هو اقوى من الموت، وأن اللـه عارف بهذهِ الاواصر، وبأن دم يسوع المنحدر على الصليب هو كنز "نعمة" يصرخ باستمرار "إسألوا تُعطَوا".

- "الجحيم":-

اذا كانت كل حقيقة الفردوس مبنية على مبدأ المحبة، فإن الجحيم هو مبني على العكس من ذلك، أي على مبدأ رفض ألمحبة. ونعرف إذا ما كانت المحبة قد ماتت او إنتهت في عائلة ما. فنقول إن هذا البيت أصبح "كالجحيم". فعندما تَحِل الكراهية محل الحب يعيش الانسان في جهنم. وهي لا تبدأ عند نهاية ألازمنة، بل من الآن عندما يُطلق العنان للعنف وإنعدام الانسانية والتي نقرأها ونشاهدها كل يوم هنا وهناك في الاخبار.

هكذا فإن الحجيم ليس من صنع اللـه. بل ان الإنسان وحده، برفضه المطلق والحاسم والمستمر للمحبة، وخاصة المحبة الصبورة والتي يستمر فيها اللـه تجاه الانسان حتى لو بلغ أبعد درجة من الخطيئة. لأن اللـه يرغب في أن يحبهُ البشر بكل حرية ومن دون اي شروط او قيود.

وهكذا حتى التقليد المسيحي يعتبر هذا الرفض مُمكننا لانه مُعلن كما في الكتاب المقدس ويعبر عن حريتنا كبشر. إلا أن الكنيسة لا تعلن او تتكلم بأي شكل من الأشكال ولو نظرياً عن موضوع ما اذا لم تكن مطلعة عليه، وهذا الشيء ينطبق على عدد المخلّصين والهالكين الذين يرفضون اللـه. لأن اللـه وحده يعرف ماذا يجري في قلوب البشر. ولهذا، فإنه ليس من السهل فهم كيف يمكن لشخص ما ان يرفض محبة اللـه رفضا تاماً؟ وهكذا تبقى الإمكانية مفتوحة من أجل الحفاظ على الكرامة البشرية.

إن اللـه لا يريد الجحيم، وهذا ما نراه في عموم الانجيل إذ نراه أبٌ يبحث بشتى الطرق والسبل كيف يبلغ ويُخلّص البشر وخاصة الذين لهم القلب الأكثر قساوة وتصلباً:

"فإِنَّ اللـه أَحبَّ العالَمَ حتَّى إِنَّه جادَ بِابنِه الوَحيد لِكَي لا يَهلِكَ كُلُّ مَن يُؤمِنُ بِه بل تكونَ له الحياةُ الأَبدِيَّة فإِنَّ اللـه لَم يُرسِلِ ابنَه إِلى العالَم لِيَدينَ العالَم بل لِيُخَلَّصَ بِه العالَم " (يوحنا 3: 16-17).

وهكذا فان حياة يسوع كلها كانت معركة ضد الشر، والخطيئة، والكراهية: اي ضد جحيم هذا العالم.

إن امكانية الجحيم تعتمد على مقدار إيماننا بإله يحترم كلياً حرية البشر، ولا يريد ان يجبرهم على أي شيء بأي شكل من الاشكال. إن هذهِ الامكانية تعيدنا قبل كل شيء الى واقع سلوكنا الحياتي هنا على هذهِ الارض والذي يحدد مستقبلنا وحالتنا في العالم الاتي. فسلوكنا وسيرتنا تعطينا المقياس على قدر تجاوبنا مع نداء اللـه المستمر أزاء حُرِيّتُنا.

- اللـه يبحث باستمرار عن الخاطيء:-

عندما يقتضي الأمر اللجوء الى المُخّيلة لتصور العقوبات الافتراضية في "العالم الاخر" من عذابات لا تُحتمل في النار، يُحرَق فيها الى الأبد اعداء الانسانية (أو اولئك الذين نعتبرهم أعدائنا الشخصيين...) عذابات متكررة يذكرها بعض الرائين عديمي المصداقية - فهنا علينا دوما طرح هذا السؤال: أين هو وجه اللـه وسط هذهِ الكلمات او هذهِ التشابيه التصويرية؟ إذ أننا نواجه إلهاً منتقماً نوعاً ما، ينتظر اليوم الاخير ليصفّي حساباته مع الخطأة؟ اليس مختلفاً عن الاله الذي كشفه يسوع لنا، والذي يذهب بذراعين مفتوحتين باحثاً عن اولئك الخطأة انفسهم، والناس الذين لا يُنصح كثيراً بالتعامل معهم، ليقولها ويكررها عليهم، بأن لهم، هم أيضاً، مكان على مائدة الآب؟ هكذا فإن اي تصوير أو

تشبيه عن الحجيم والمطهر، والذي يشوّه صورة إله يسوع، ينبغي رفضها من دون تردد.

وأخيراً، فإن "قانون الايمان" لا يقول "نؤمن بالجحيم" بل يقول "ونؤمن بمغفرة الخطايا وبالحياة الابدية". هكذا نرى بأن الكلمة الاخيرة هي للمحبة دائماً، مالم تُواجَه بالرفض الكامل والنهائي من قبل الانسان.

- خاتمة : فلنبني غَدنا من اليوم

نعم، إن كل فعل نقوم به يعطي ثَمَرهُ، وإننا انطلاقاً من حياتنا الارضية نبني وجودنا ومكانتنا المستقبلية. وبالنسبة للمسيحية فإن هذا الوجود ليس إعادة مسيرة ثانية على هذهِ الارض، كما يدّعى مساندي فكرة التقمص أو تناسخ الارواح. بل هو وجود في حياة أبدية. ولهذا يعمل الانسان المسيحي جهده في هذهِ الحياة الحاضرة والارضية من دون ان يؤمن "بشريعة التناسخ" كما لو ان مصيرنا ليس بأيدينا.

بالحقيقة لقد خلق اللـه الانسان من أجل تغيير العالم وبالتاكيد فان هناك عالم آخر. إلان الطريقة الأكثر فعالة: لتحضيرنا لذلك هي أن تكون نظرتنا لهذا العالم مختلفة. فكل ما نصنعه على الارض هو أن نجعله أكثر إنسانية واخوّة، إستعداداً للعالم الاتي والذي نحن في مسيرة نحوه. وهكذا فلن يكون هناك عالمين إثنين من بعد بل عالم واحد، والذي سيبلغ يوماً الكمال في الحياة الابدية.

وكما يقول يسوع "إن ملكوت السموات هو فيما بينكم، من خلال إسقاء كأس ماء بارد للاخوة، او اقتسام الخبز مع الجائع، او زيارة المسجون والمريض، وبالغفران من صميم القلب... كل هذه هي علامات مرئية للملكوت الذي ينمو في وسطنا، يُزرع بَذْره وينمو ويكبر. وغيرها كثير من علامات المحبة، بقدر ما تكثر، بقدر ما تُهيئنا للجلوس على المائدة الأبدية على طاولة اللـه في الملكوت.

يقول المجمع الفاتيكاني الثاني:

> "فهذه القيم من كرامةٍ وشركةٍ وحرية، كلُ هذه الثمار الممتازة التي أنتجتْها طبيعتنا ومهاراتنا والتي نكون قد نشرناها على الأرض وفقاً لوصية الرب وحسب روحه، سنجدها فيما بعد، مطهرةً من كل وصمةٍ، متلألئةً متشحةً حلةً جديدة، عندما يسلّم المسيح إلى أبيه "ملكوتاً أبدياً شاملاً: ملكوتَ حقيقةٍ وحياة. ملكوتَ قداسةٍ ونعمة، ملكوتَ برٍ وحبٍ وسلام". إن الملكوتَ حاضرٌ الآن بشكلٍ سري على الأرض، وسيبلغ كمالُهُ عند عودة الرب." (المجمع الفاتيكاني الثاني: دستور رعائي في الكنيسة: فرح ورجاء: 39).

ويقول المسيحيون المؤمنون بأن مائدة اللـه هي مُعدّة وتستقبل الجميع. إنها حاضرة في وسطنا عندما نجتمع للاوخارستيا على مثال تلميذي عماوس. عندما نتقاسم الخبز الأخوي مع الرب القائم، وهكذا نكون قد دخلنا مُسبقاً في العالم الآتي.

- الحياة الأبدية حاضرة منذ الآن على هذهِ الارض:-

إن الحياة الأبدية هي أُفق وجودنا البشري، وهي المحطة الأخيرة لمسيرتنا التي ستنتهي في السماء والتي تفوق كل تصوراتنا. فمستقبلنا هو هناك بمكان أبعد مما بإستطاعتنا رؤيته. وفي نفس الوقت فإن الحياة الأبدية هي بيننا، لأننا قد وضعنا رجلنا على الطريق. فليس هناك طريقان او عالمان. لان عالمنا هذا الذي نعيش فيه هو منذ الان "صورة" للعالم الآخر، وإن حياتنا اليومية هي صورة لحياتنا في العالم الآتي. لكن عالم الحياة الأبدية سيلوّن

حياتنا الارضية هذهِ وسيعطيها بُعده وطعمه: بُعد المسيرة والحج على هذهِ الأرض وبُعد الحياة الابدية.

إن حياتنا تشبه الى حد ما حالة الجنين وهو في رحم أُمه. فهو يتحضر للدخول في حياة لا يعرف عنها شيئاً، ولا يمكنه حتى تخيلها، ومع هذا كله فإن هذهِ الحياة موجودة! وعلى أغلب الظن فإن الجنين أيضاً يتملكه الخوف لحظة الخروج والولادة. فمن يعرف، هل سيجد في العالم نفس الدفء والأمان الذي توّفر له في بطن أُمه؟

لهذا السبب نخاف نحن أيضاً من الموت، اذ نعتبره قفزة في المجهول. إلا أن هذهِ الخطوة وهذا التحول هو ضروري للدخول في الحياة الحقيقية. يقول احد المفكرين الفرنسيين المعاصرين (ميشيل سيرس) "ان القيامة هي موت الموت".
ويقول (ميكيل دي اونامونو):

> "من دونك يا يسوع، فإننا سنولد فقط لاجل أن نموت، واما معك: فاننا نموت فقط من أجل نحيا من جديد".

انا هو الطريق والحق والحياة

الفهرس

- مقدمة: تناسخ أرواح أم القيامة؟ 3
1- الحياة الابدية عند اليهود.. 5
2- القيامة في كلمات يسوع 10
3- قيامة يسوع 13
4- القيامة، مركز الإيمان 25
5- حياة ما بعد الموت : قيامة الجسد 29
6- حياة ما بعد الموت: السماء 35
7- حياة ما بعد الموت: الدينونة والمطهر والجحيم 41
- خاتمة: فلنبني غدنا ابتداءً من اليوم 48